

*Abbās Ma‘āref*

## **Der erneute Blick auf die Grundlagen der Gnostik (Teil II)**

بسمه تعالى

### **الفصل الرابع في أنحاء الحكمة**

قد اشتهر بين القوم ان الحكمة على اربعة اقسام. قال السيد الشريف في وجه هذه الاقسام ما نصه هذا :

«ان السعادة العظمى و المرتبة العليا للنفس الناطقة، هي معرفة الصانع تعالى بما له من صفات الكمال و التنزيه عن النقصان، و بما صدر عنه من الآثار و الافعال في النشأة الأولى و الآخرة؛ و بالجملة، معرفة المبدء و المعاد.

و الطريقة الى هذه المعرفة، من وجهين: احدهما طريقة النظر و الأستدلال و ثانيةهما طريقة اهل الرياضة و المجاهدة. و الطريقة الأولى، ان التزموا ملة من ملل الانبياء، فهم المتكلمون و الافهم الحكماء المشاؤون؛ و الطريقة الثانية، ان وافقوا في رياضتهم احكام الشريعة، فهم الصوفية و الافهم الحكماء الاشرافيون.  
فلكل طائفتان ...»

و قد رأيتُ هذا التقسيم في الرسائل الفلسفية للخيام الذي عاش نحو ثلاثة عشر قبل الشريف الجرجاني، ولم اظن ان الخيام ايضاً اول من تفوّه بهذا التقسيم بل الامر اقدم. فلا عجب من هذه القيادة، لأن وجه الحصر جليٌ يعلم بادني تأملِ .

اما قبل الخوض وجه الحصر، يجب ان نشير الى نكتتين:

الاولى، ان الاشراقين والصوفيين لا يحصرون السبيل الى النيل بالحقائق في الرياضة؛ بل يقولون ان هيهنا طوراً وراء طور العقل وهو الكشف والبيان. ومنشاء هذا الكشف ليس الا انجلاء سجنجل الفؤاد؛ اذ صفاء تلك المرأة يتضمن ان تتنفس فيها صور الحقائق، كما هي عليه في نفس الامر. نعم يمكن ان تنجل مشكاة الفؤاد بذرية الرياضة؛ ولكن العمدة في المقام غلبة المحبة وصدق النية و الشفقة على البرية.

الثانية، ان المشائين والاشراقين لا يجب ان لا يديروا بكتاب مُنزل او بنبي مرسلاً؛ لأن كثيراً منهم خضعوا للإسلام والنصرانية، بل المراد أنهم في بحثهم عن الحقائق لا يلتزمون الوحي؛ اي لا يفرضون على انفسهم ان يستبطنوا الحقائق الحكمية من الزبر السماوية .

اما وجه حصر المناهج الحكمية في الاربعة، هو أن الذين يفحصون عن الحقائق، اما يحصرون الطريق الى معرفة الاشياء في البراهين العقلية، او يعتقدون هيهنا طوراً وراء طور العقل؛ و كلتا الطائفتان اما ان يلتزموا الوحي ام لا. فيصير الاقسام اربعة على النهج الآتي:

١- الذين يتّخذون العقل هادياً وحيداً و لا يعبأون بالكشف ولا يلتزمون الوحي ايضاً، فيعنون بالمشائين؛ و تستند هذه النحلة في الاولى بالارسطاطاليس ومن اتباعه، كثوفراستوس و ثامسطيوس و الاسكندر الاخروديسي. و أشهر المشائين في الاسلام، ابونصر الفارابي و شيخ الرئيس ابن سينا و نصير الدين الطوسي؛ و في العصر الوسيط، البرت الكبير و طوماس الاكويني و كثير من المتكلمين القروسطيين.

ثم حدّ فلسفة المشائين يصدق على كثير من المناهج الفلسفية في الدورة الحديثة، ولكن العدمية المضاعفة و الموضوعية النفسانية اللتين تغلبان على الفلسفة الحديثة تمنعان ان يتّصف هؤلاء الفلاسفة بالمشائين؛ لأن تضاعف العدمية و الموضوعية النفسانية قد احدثتا في الفلسفة الحديثة تمييزاً جوهرياً عن الفلسفة الاغريقية التي أتبعت في العصر الوسيط.

٢- والذين يكتفون بالبراهين العقلية و لا يسلكون مسلك الكشف و العيان، فإن التزموا بالوحى، يسموا بالمتكلمين؛ كالمعزلة و الاشاعرة و الماتريدية .....

يوجُد علم الكلام في الثقافة المسيحية ايضاً و يعبر عنه بمصطلح يختصه Offenbarung Theologia

٣- الذين لا يقنعون بصرف الحجج العقلية و يعتقدون ان هيئنا طوراً وراء طور العقل، ولكنهم لا يلتزمون الوحى؛ فهم الفلاسفة الاشرافيون .

قد زعم الاشرافيون ان منهجهم يرجع الى افلاطون و من تبعه في المنهج الافلاطونية الوسيطة او الحديثة و لا سيما افلاوطين و فورفوريوس .

اما في المسلمين، لقد اهتم السهروردي بهذا المنهج و شيد اركانه و بالغ في تعضيد الاشرافيين و تزييف المشائين؛ و تبعوه بعض من اهل النظر كالشهرزوري و قطب الدين شيرازى و الباقر الداماد بوجهه و الدواني ايد الاشرافيين فى شرحه على هياكل النور. و لما بلغ الامر إلى صدرالدين الشيرازى، جمع بين مآثر المشائين و الاشرافيين و تبعوه كثير من الباحثين كالنورى و السبزوارى و المدرس الزنوzi.

بعض المتكلسين المدرسيين في العصر الوسيط اتبّعوا ايضا افلاطون؛ من اشهرهم اغسطينوس و آنسلم، ولكن اكثراهم اتبّعوا الارسطاطاليس .

يصدق حدّ فلسفة الاشراق على بعض المناهج الفلسفية التي ظهرت في عهد الحديث في الاروبا، ولكن الموضوعية النفسانية و تضاعف العدمية تمنعان ان

يطلق عنوان الاشرقيين عليهم؛ كما أن تضاعف العدمية منع ايضاً أن يعنيَّن بعض آخر بالمشائين.

٤- الحكماء الانسيون هم الذين يجاهدون لأن يأنسوا بحقيقة الوجود، و ذلك لا يمكن الا ان ينجحوا عن العدمية المضاغفة وال موضوعية الفسانية، اي يفلحوا عن عبودية اهوائهم.

و ثمرة الانس هي المعرفة التي لاتستكمل الا با نيفن السالك في سبات الوجود المطلق .

والمعرفة بالوجود يتضمن المعرفة بالموجود والمعرفة باعيان الاشياء بوجه الاتم؛ اذ الماهيات الموجودة كلها تعينات الوجود المطلق، بل الاعيان كلها صرف التعين و ليس الا. لأن الاعيان الثابتات - كما مرت الاشارة اليها - ليست الا صور الاسماء و الصفات في مرآة الذات. فالاسم هو الذات مع تعين ما ولكن العين الثابتة التي هو صورة تلك الاسم في مشكاة الذات، ليس الا نفس التعين؛ ولذلك العلم الاقصى بالاعيان، انما يحصل بشهودها في تلك المرأة.

قال القونوي ما هذا نصه :

“اعلم ان أعلى درجات العلم بالشيء - اي شيء كان ما عدا الحق - هو ان تعلمه بعلم يكون نتيجة رؤيتك اياه في علم الحق”<sup>١</sup>

فكما ترى لا تحصل معرفة بالماهية حق المعرفة، الا ان يعرفها السالك في حضرة الاعيان الثابتة؛ اى يعرف الماهية في ساحة الوجود، لا في نطاق الموجود؛ لأن الاعيان في ذلك الموطن، مستهلكة في حقيقة الوجود و ليست بموجودة اصلاً.

و انما هذه المعرفة جدير با نسمى العلم بالماهية؛ و دونها من المعارف ليس الا المعرفة بوجوه الماهية و شئونها و لا تتعلق بعينها.

ان سئل سائل هل يتيسّر لاحد هذا العلم الذي ادعيموه؟ فيجاب با ن الله تعالى قال في كتابه المجيد :

«و لا يحيطون بشيء من علمه الا بماشاء»<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - النصوص للقونوي، المطبوع مع منازل السائرين في الطهران بالطبع الحجري، ص ٢٨٦

<sup>٢</sup> - البقرة / ٢٥٥

فالطريق الى الاعيان و الحقائق عند الحكماء الانسيين هو الكشف؛ ولكنه لا بد من ميزان يعرف به صحيح الكشف من سقيمه؛ و لا مناص من حارس السالك من الالقائات الفسانية، و ذلك الحارس ليس الا الوحي. ولذلك ترى السالكين لجأوا الى ذيل الكشف والوحي معاً، و بهذا يمتازون عن الطوائف الثلاث التي سلف ذكرها.

لاتزعن ان الاحتجاج بالبراهين مردود في الحكمة الانسية؛ بل يدخل الاحتجاج في مطاوى الحكمة الانسية بالوجهين:

الاول، افهام اهل النظر بأساليبهم المعهودة؛ اي الاحتجاجات العقلية.

قال القيصري:

«و ما ذكرت من البرهان و الدليل، انما اتيت به الزاماً لهم بطريقتهم و افحاماً لهم بشرعيتهم؛ فان كشف اهل الشهود ليس حجة عليهم. و ظاهر الآيات و الاخبار المبينة لما ي قوله اهل الكشف، ماؤل لديهم. فوجب ان نقول معهم بلسانهم كما قال تعالى: و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه و الله على ما نقول وكيل واليه المستعان و هو يهدى السبيل<sup>٣</sup>»

الثاني، انه في طور من الاطوار الكشف، ي لهم الدليل و المدلول معاً على فؤاد السالك؛ و يعده هذا النحو من العيان طورا من اطوار الكشف المعنوي.

و قد نقل محبي الدين من صديقه اي الكتائني انه قد قصر الكشف بهذا النوع الذي ي لهم فيه الدليل و المدلول الى فؤاد.

فالشيخ الاكبر و ان لم يرض بهذا القصر ولكن صدق قول صديقه وافرّ بهذا النحو من الكشف، الا انه قال ان لكشف المعنوي طورا آخر يفرق هذا الطور الذي يقول به الكتائني.

فعلى كل تقدير يمكن ان يقال : الاحتجاجات التي قد وردت في الفصول و الفتوحات و نظائرهما من المسفوارات، تعد من مصاديق الاحتجاجات التي ألمحت فيها الدال و مدلول معاً الى المكافشف. و لذلك يقول الحكماء الانسيون ان ما يستدلّون به، هو امررين المعمول و المشهود؛ و ينبع البراهين التي يحتجّون بها ليس الا الشهود .

ان الحكماء الانسيين يعتقدون ان السالك لا يفوز بدرجة الحكمة الا ان يصير مظهراً لاسم الحكيم؛ لأن الحكمة حفة يوصف تارة بها المعهود و يوصف تارة بها العايد. اذ الحكمة هي العلم باعيان الاشياء كما هي عليه في نفس الامر، فللحق علم قديم بالاعيان كلها و يصدق عليه اسم الحكيم من دون ارتياه؛ و اما الانسان قد يحصل له ايضاً علم بالاعيان، فيتصرف كبارئه بالحكمة.

لكن بين الحكمتين بونا بعيداً و فرقاً عظيمين؛ لأن حكمة الحق هي التي منشاء تقرير الاعيان و تحقق الاكون؛ اذا الاعيان الثابتات ليست الا صور اسمائه تعالى و صفاته في مرآة هي علم غبيه تعالى؛ و لو لا العلم الحق باسمائه و صفاته - اي تعينات ذاته - لا تقرر عين من الاعيان. فينبعد الاعيان كلها

<sup>٣</sup> - الرسائل القيصرى المطبوعة بالطهران، ص ٧

هذا العلم القديم الذى يعبر الحكماء الانسیون عنه بفيض القدس؛ و هذا الفيض القدس ليس إلا انجلاء الاسماء والصفات في مرآة الذات؛ و العلم في هذه المقام هو انجلاء الذات للذات.

كما ان الفيض المقدس ينبوع الا كوان؛ لأنَّ الفيض المقدس عندهم هو ان يتجلّى الحق مرهَّة ثانية في تلك الاعيان الثابتة التي تقررت في مرحلة فيض القدس و يجعلها بذلك التجلّى الثاني موجودة. فيستنبط مما مَرَ ان حكمَة الحق منشأ تقرَّ الاعيان و تتحقَّق الاكون.

فإذا كان حكمَة الحق ينبع الاعيان كلها، فلابدَّ الانسان بادرَكَ الاعيان كما هي عليه، الا ان يفاض عليه، شيئاً من ذلك اليَّابُوع؛ اي الانسان لا يتصف بالحكمة الا اذا صار مظهراً لاسمه الحكيم قدست اسماؤه.

«فمن اوتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً»<sup>٤</sup>

فالحكمة الانسية هي علم يُحصل للسالك في سيره الى الوجود المطلق؛ و اعلى مراتب ذلك العلم ان يرى الاعيان في موطنها الازلي و هو عالم الاعيان الثابتات. و اذا نال السالك بهذا العالم، فيعرف الماهيات في ساحة الوجود لا في نطاق الموجود؛ و هذا الفارق الوحيد بين معرفة السالكين و غيرهم. فلا يُعد كل ماقال السالكون في زبرهم و مسؤولتهم بحكمة الانسية؛ بل يوجد في تقريراتهم كثيراً من المباحث الكلامية و شئ ما من المباحث الفلسفية؛ ولكن ذلك ضئيل جداً. اما الحكمة الانسية خصوص ما ظفر السالك في سيرهم الى الوجود.

فالفارق الذاتي بين الحكمة الانسية و بين الانحاء الاخرى من الحكمة، هو ان الحكمة الانسية تهتم بحقيقة الوجود و غيرها من الانحاء لاسيما فلسفة المشائين و الاشراقين، تشتعل بالموجود؛ و قد انعقد لتحقيق المقام فصل يختص به و هو الفصل السادس، فترقب.

## تنبيه

كل هذه الفرق الاربع مع تخالفهم في كثير من الاصول و الفروع تشترك في امر وحيد و هو ان لكل الاشياء الموجودة حقيقة و ماهية في نفس الامر، تستقل عن الحواس، و هو الشيء في نفسه (Ding an sich) وتلك الماهية هي التي يكون الشيء بها هو هو. و لا فرق في هذا المعتقد بين الذاهبين الى اصالة الماهية و الذاهبين الى اصالة الوجود؛ لأن الماهية التي نبحث هيئنا عنها، هي الماهية بمعنى ما به الشيء هو هو. و الماهية بهذا المعنى، غير الماهية التي هي مثار النزاع عند الطائفتين؛ لأن الماهية التي وقعت مثار النزاع، هي ما يقال في جواب ما هو عند الفلاسفة و نفس الطبيعة المرسلة للشيء عند الحكماء الانسيين. و اما الماهية بمعنى ما به الشيء هو هو، كما يصدق على حقيقة الوجود ايضاً.

قال السبزواري في تعليقه على الاسفار ما هذا نصه :

«و اما قولهم : ما به الشيء و هو هو، فكما يجوز انطباقه على حقيقة ماهية الاشياء، كذلك يجوز صدقه على حقيقة وجودها...»

فالحاصل ان اصحاب هذه الفرق الاربع يشتركون في انهم يعتقدون ان هيئنا شيئاً في نفسه (Ding an sich ) يستقل عن الادراك و الامر لا ينحصر على ما يظهر للادراك (Phänomen) فحسب، بل هيئنا شيء في نفسه هو ذات الشيء (Nomen) و كل ما يظهر للادراك من الشيء، يستند على تلك الذات .

ثم اكثراهم زادوا ان الشيء في ذاته يمكن معرفته و يتعلق العلم بالذوات الاشياء و خالقهم بعض آخرون.

ان عمانوئيل كانت وان اعتراف بالشيء في نفسه وجعله منشأ ما يظهر للادراك من الظاهرات، لكنه انكر معرفة الاشياء بالكتبه، و جعلها من المستحيل، و اتخد موقفاً بين المعرفين بالحكمة و جاحديها؛ و تبع الكانت كثير من المتكلسين لا سيما اغوسط كنت و نحلة التحلصية (Positivismus) وزادوا ان الذات الشيء لا يهمنا العلم به اكتشافاً، و الاولى القصر بمعرفة الظاهرات التي تظهر للادراك عند التجريب. و في المائة العشرين بالغ اصحاب التحصل في اقوالهم و بعضهم انكروا الشيء في ذاته؛ فقالوا اصحاب التحلصية المنطقية (Logischer Positivismus) ان الشيء في ذاته ليس له معنى محصل و يجب ان يترك؛ و كل قضيه تبحث عن الذات ليس بعلميه اصلاً و لترفض من العلوم. و لذلك انكروا ان تكون التعليميات (Mathematik) من العلوم الحقيقة و وافق اصحاب التحلصية المنطقية في هذه الدواعي اصحاب النحلة الظواهرية (Phänomenalismus) و غيرهم من المتكلسين الذين عاشوا في المائة العشرين و انكروا الشيء في ذاته.

ان الذين ينكرن الشيء في ذاته يسمون (Antiessentiellismus) في مقابلة القائلين بالحكمة الذين يسمون (Essentiellismus).

منهج انكار الشيء في ذاته يساوق منهج الاسمي (Nominalismus) و بالنظر الدقيق تؤول دعوى النحليتين الى مثال واحد؛ اذ الاسماء التي تدل على الذوات و الماهيات لا يحاذيها شيء محصل في الخارج عند اصحاب هذا المنهج اي الاسمية. و العناوين التي تدل على الذوات و الحقائق، صرف اسماء من دون المسميات المتصلة المتحققة في الخارج.

ان جحود الشيء في ذاته و انكار الشيء في نفسه يعد من اجل تبارزات الموضوعية الفسانية و العدمية المضاعفة؛ لأن الانسان اذا قصر الموضوعية بالنفس البشرية، فيسوق الى ان ينكر الشيء في ذاته و يقلل الى ما يوجد منه عند النفس حين الادراك.

لقد صدح اقوال مناهج الاسمية و جحود الشيء في نفسه في نوادي الرأسمالية صداعاً جميلاً، و اصحاب هذه الندوات طربوا من رينتها و اغتنموا تلك المناهج و اتخذوها ترساً لهم في الصراع الطبقي؛ لانه قد اقررت في المائة التاسعة و العشرين استلة حول ذات الانسان و ذات العمل و ماهية الاستغلال، التي انجرت اجوبتها برفض الاستغلال و رفض الامتلاك الفردي على ذرائع الانتاج، و ضرورة تأمين تلك الذرائع منعا لاستغلال الكادحين.

لما زموا اصحاب الرأسمالية و أفحموا و لم يجدوا حيلة لتخلص عن هذا الازام، اتخذوا سبيلاً المكايدة و اجحدوا الذات و الشيء في نفسه و فندوا تلك الاسئلة بانها غير علمية.

ثم اعلم انه في كل دور من الا دور التاريخية يغلب نحو من هذه الانحاء الاربعة وللكلام تمامٌ سنشير به في الفصل التاسع الذي انعقد لبيان الصلة التاريخية بين ادوار و انحاء الحكمة.

## الفصل الخامس

### في بيان شعب الحكمة

الحكمة تنقسم إلى النظرية والعملية وكلتاها تنقسمان إلى شعب وفروع .  
بيان ذلك أن الحكمة عُرِفت بالعلم باعيان الأشياء على ماهي عليه والعمل  
بمقتضاه.

فالعلم باعيان الأشياء، هو الحكمة النظرية؛ واما الفقرة الثانية من التعريف، اي  
العمل بمقتضى ذلك العلم، ناظرة إلى الحكمة العملية؛ اذ الحكمة العملية هي  
العلم بأمر توجب العمل باقتضائات التي تحكم به الحكمة النظرية.

فلا تزعن أن العمل بمقتضى العلم باعيان هو نفس الحكمة العملية، بل  
الحكمة العملية هو العلم بما ينبغي او يجب ان يفعل؛ او العلم بأمر لا ينبغي أن  
تفعل، بل بعضها يجب ان لا يفعل.

قال الشيخ في الهيات الشفاء:

«إن العلوم الفلسفية، كما قد أشير إليه في موضع آخر من الكتب، تنقسم إلى  
النظرية وإلى العملية. وقد أشير إلى الفرق بينهما وذكر أن النظرية هي التي  
يطلب فيها استكمال القوة النظرية من النفس لحصول العقل بالفعل؛ و ذلك  
بحصول العلم التصورى و التصديقى بأمر ليست هي ب أنها أعمالنا وأحوالنا؛  
فتكون الغاية فيها حصول رأى و اعتقاد ليس رأياً و اعتقاداً في كيفية عمل او  
كيفية مبدأ عمل من حيث هو مبدأ عمل<sup>٥</sup>»

وأن العملية هي التي يطلب فيها اولاً، استكمال القوة النظرية بحصول العلم  
التصورى و التصديقى بأمر هي ب أنها أعمالنا، ليحصل منها؛ ثانياً، استكمال  
القوة العلمية بالأخلاق<sup>٦</sup> »

<sup>٥</sup> الهيات اشفاء المقالة الاولى الفصل الاول

<sup>٦</sup> المقالة الاولى الفصل الاول

و يجب ان يذكر ان اصول الحكمة النظرية و العملية لتختلف بحسب انحاء الاربعة للحكمة، و في كل من هذه الفرق الاربع يتقرر نحو من الحكمة النظرية و العملية يختص به؛ و كما اشرنا آنفا في كل دور من الادوار التاريخية يغلب نحو من الانحاء الحكمة؛ كما سيجيء تفصيله انشاء الله تعالى.

اما انحاء الحكمة العملية و شعبها، سنبحث عنها في الفصل السابع؛ و الاولى هي هنا ان نهتم بعد الفراغ عن تحديد الحكمة النظرية و العملية، ببيان شعب الحكمة النظرية و فروعها:

تتقسم العلوم النظرية عند المشائين بالعلم الادنى والاوسط والاعلى

القسم الادنى، اي طبيعى، يبحث عن الاجسام من حيث الحركة و السكون؛ و القسم الاوسط، اي تعليمى يبحث عن الكم و عوارضه الذاتية؛ و القسم الاعلى الذى يسمى بالحكمة الالهية او الاولى، تبحث عن المفارقات، اي الامور التي تفارق المواد و تستغنى عنها حدا و قواماً.

و يمكن ان يلحظ وجه الحصر بنحو الاتى:

ان الحكمة الطبيعية تبحث عن الامور التى جسمانية بالحد و القوام.

و الحكمة التعليمية تبحث عما لا يأخذ فى حده المادة ولكنها ليس فى القوام مفارقاً عن المواد.

والحكمة الاولى او الالهيات تبحث عن الامور المفارقة من المواد حدا و قياماً.

وان سئل سائلُ :

الحكمة الاولى تبحث عن الموجود بما هو موجود، و كثير من الموجودات لا يفارق المواد؛ فكيف يمكن ان يدعى احداً ان الحكمة الاولى تبحث عن الامور المفارقة؟

فييمكن ان يقال في جوابه :

انما الحكمة الاولى تبحث عن الموجود بما هو موجود؛ و الموجود ليس من جهة موجوديته بممازج او بمفارق؛ و لو كان الموجود بما هو موجود ممازجاً، لم يوجد الا انه مخالط بالمادة؛ و لو كان الموجود بما هو موجود مفارقأً، لم يوجد موجود الا و انه مفارق؛ و نحن نشاهد ان الامر بخلاف ذلك؛ اذ بعض الموجودات مفارق و بعضها ممازج، فيستنبط ان الموجود بما هو موجود يتعالى عن ذينك القسمين .

هذا الاحتجاج و ان كان حقاً، ولكن يشهد بان موضوع الحكمة الاولى لا ينحصر في الامور المفارقة و حسب، بل هذا القسم من الحكمة يبحث عن الموجود بما هو موجود، مقارقاً كان او مممازاً. نعم، لا يبحث عن المفارقات غير هذا العلم و لا يوجد في الطبيعيات و التعليميات تحقيق حول المفارقات المحسنة التي تتجدد عن المواد ذاتاً و فعلًا<sup>٧</sup>؛ و البحث عن هذه المفارقات ينحصر بالحكمة الاولى من دون عكس؛ اذ لا ينحصر ما تبحث في الحكمة الاولى بالمفارقات، بل كل موجود بما هو موجود يبحث عنه في هذه الحكمة.

لقد اشار السهروردي بأن رسم الحكمة الاولى بالعلم الذي يبحث من المفارقات ليس بجامع و لا مانع، و قال في المشارع و المطارحات مانصه هذا:

و ان شرط في التقسيم ضابط العلم الاعلى بأنه لا يخالط المادة اصلاً، خرج منه كثيرٌ من تقاسيم الوجود؛ و ان لم يُشترط بل تُرك على صحة التجبر باعتبار دخل موضوع الحساب فيه، فما تم التقسيم؛ بل الاجود ان يُقسم العلوم الى ما موضوعها نفس الموجود، و الى ما ليس موضوعها نفس الموجود؛ فالاول، العلم الاعلى؛ والذى ليس موضوعه نفس الموجود، اما ان يُشرط في فرض وقوعه صلوحٌ مادة متخصصة الاستعداد، اما لا<sup>٨</sup>.

اقول: بيان وجه الحصر بهذا الطريق احسن، وتبعد صدر المتألهين في الحكمة المتعالية؛ ولكن القول بدخول موضوع الحساب في الحكمة الاولى - ان جعلنا موضوعها البحث عن المفارقات - فلن يخلو من المناقشة؛ لأن العدد بما هو عدد، ليس موضوع الحساب، كما صرح به صدرالدين في الاسفار حيث قال:

«و ما يجب أن يعلم أن بعض الامور التي ليست ماهيتها مفترقة في الوجودين العيني و الذهني إلى المادة، لكنها مما قد يعرض لها أن يصير رياضيا كالكم، أو طبيعيا كالكيف، قد لا يبحث عنها في العلم الكلى؛ بل يفرد لها علم على حدة، كالحساب للعدد؛ أو يبحث عنها في علم اسفل، كالبحث عن الكيفيات في الطبيعيات؛ وذلك بأحد وجهين :

الاول: انه يعتبر كونها عارضة للمواد بوجه من الوجه، و يبحث عنها بهذا الاعتبار في علم مفرد. فإن العدد يعتبر تارة من حيث هو؛ و بهذا الاعتبار يكون من جملة الامور المجردة عن المادة و يبحث عنه في باب الوحدة و الكثرة من الامور العامة؛ و يعتبر أخرى من حيث تعلقه بالمادة لا في الوهم بل في الخارج، و يبحث عنه بهذا الاعتبار في التعاليم. فإنهما يبحثون عن الجمع و التفرق و الضرب و القسمة و التجذير و التكعيب و غيرها مما يلحق العدد. و هو في أوهام الناس أوفي موجودات متحركة منقسمة متفرقة مجتمعة<sup>٩</sup>.»

<sup>٧</sup> - و النفس التي قد يبحث عنها في الطبيعيات، إنما تستغنی عن المواد بالذات، لا بالفعل

<sup>٨</sup> - المشارع و المطارحات، المطبوعة بالطهران ص ١٩٧

<sup>٩</sup> ثم زاد رحمة الله في بيان وجه الثاني هذه العبارة: و الثاني أن يبحث عنها لامطلاقا، بل عن بعض أنواعها التي لا توجد الا باستعداد المادة و حرکاتها و استحالاتها؛ فاللاقى بالبحث عنه إنما هو العلم الأسفل؛ فان اتفق أن يذكر بعض

انتهى كلامه طاب ثراه لكن القول بان موضوع الحساب هو العدد بما هو عارض على المواد، لا يخلو من المكابرة؛ لأن العدد لما صار موضوعاً للحساب من حيث انه يعرض على المواد؛ اذ التعليميات تبحث عن الاعداد السالبة كما تبحث عن الاعداد الموجبة و تبحث عن الاعداد المتخلية المohoومة كالاعداد الحقيقة؛ فالاعداد السالبة و الاعداد المohoومة فلم يوجد في المواد، مع ان هذه الاعداد من دعائم التعليميات.

بل انما أفرد علم للبحث عن الجمع والتفريق والضرب والتقسيم والتتجذير والتكميم، و جعل ذلك العلم في التعليميات بدليل آخر غير ما ذكره رحمة الله، و هو أن الموجود لا يتصرف بتلك الاحوال، الا ان يصير ذاكـ. و الموجود من حيث هو موجود، لا تعرض له تلك الاحوال، حتى يبحث من تلك الاوصاف في الحكمة الاولى؛ فيؤول الكلام كما ترى الى ما قال السهروردي في وجه الحصر .

قد نسب صدر المتألهين الى ارسطاطاليس انه قسم الحكمـ النظرية الى اربعة اقسام، و هذا نص كلامـ رحمة الله في تعليقية على المقالة الاولى من الهـيات الشفاء:

«واعلم ان اقسام الحكمـ النظرية ثلاثة عند القدماء، و هي الطبيعـي و الرياضـي و الالـهي؛ و اربعة عند ارسطـو و شيعته بزيادة العلم الكلى، الذى فيه تقسيـم الوجود»<sup>١٠</sup>. انتهى فلم اظفر بهذا التقسيـم في رسالة الحروف لارسطاطاليس، التي بحث فيها عن ما بعد الطبيـعـة؛ بل صرح في مقالة (ابسـيلن، الفصل الاول) من هذه الرسـالة بانقسام الفلسـفة النظرـية بالاقـسام الثلاثـة المشهـورة. لعل الصـدرا طاب ثراه رأى هذا التقسيـم في المسـفـورـات الاخـرى لارسطـو، او وجـده في الرـسـالـات المـوضـوعـة التـى نـسبـتـ الى ارسطـاطـالـيس و ليسـ منهـ.

و يجدر ان يعلم ان الـذاـهـيـنـ بـأنـ الحـكـمـةـ التـعـلـيمـيـةـ هـيـ التـىـ تـبـحـثـ عـنـ الـامـورـ الـمـسـتـغـيـنةـ عـنـ الـمـوـادـ حـداـ لاـ قـوـاماـ، اـنـماـ اـتـبـعـواـ خـطـوـاتـ الـمـشـائـنـ؛ اـذـالـمـشـائـنـ يـعـتـقـدـونـ اـنـ الصـورـ الـرـياـضـيـةـ لـاـ تـتـجـرـدـ عـنـ الـمـادـةـ الـاـ فـيـ الـذـهـنـ؛ وـاـمـاـ فـيـ الـخـارـجـ فـلاـ تـقـوـمـ هـذـهـ الصـورـ الـاـ فـيـ الـجـسـمـ.

اما الـافـلاـطـونـ لقد صـرـحـ فيـ مـسـفـورـاتـهـ بـوـجـودـ عـالـمـ هوـ بـرـزـخـ بـيـنـ عـالـمـ الـمـثـلـ وـ صـورـ الـمـعـقـولـةـ (Noesis) وـ بيـنـ هـذـاـ عـالـمـ الـمـحـسـوسـ الـذـىـ نـعيـشـ فـيـهـ؛ وـ عنـونـ ذـلـكـ الـبـرـزـخـ الوـسـيـطـ (Dianoia) بـالـعـالـمـ الـمـعـقـولـ التـفـصـيـلـيـ. فـالـعـالـمـ الـمـعـقـولـ عـنـهـ نـوـعـانـ:

الـاـولـ، هوـ عـالـمـ الصـورـ الـمـعـقـولـةـ الـاجـمـالـيـةـ (Noesis) وـ الـثـانـيـ، هوـ عـالـمـ الصـورـ الـمـعـقـولـةـ التـفـصـيـلـيـةـ (Dianoia) وـ الـعـالـمـانـ كـلاـهـماـ متـجـرـدانـ عـنـ الـمـادـةـ؛ وـ الـفـرقـ بـيـنـهـماـ يـرـجـعـ عـلـىـ الـاجـمـالـ وـ التـفـصـيـلـ؛ لـانـ كـلـ صـورـةـ تـتـحـقـقـ فـيـ عـالـمـ الـمـثـلـ، مـنـحـصـرـةـ فـيـ وـاحـدـ لـاـ يـقـبـلـ الـكـثـرـةـ. وـ لـكـنـ الصـورـ الـتـىـ تـوـجـدـ فـيـ عـالـمـ الـثـانـيـ - ايـ عـالـمـ الـوـسـيـطـ - مـتـكـثـرـةـ، وـ لـذـلـكـ يـمـكـنـ اـنـ تـوـجـدـ فـيـ عـالـمـ الـمـحـسـوسـ بـحـلـولـهـاـ فـيـ الـمـوـادـ؛

أحوالها فيه على الوجه العام، كان ذلك على سبيل المبدئية، لا على أن يكون من المسائل. هيئنا قد نقلنا وجه الثاني الى الهاـمشـ لـعدـمـ الحاجـةـ بهـ فـيـ المـتنـ.

<sup>١٠</sup> - تعليقات صدر المتألهين على الهـياتـ الشـفـاءـ، المـطبـوعـةـ بـالـطـهـرـانـ وـ الـقـمـ، معـ مـتنـ الـهـياتـ الشـفـاءـ، صـ (٤)، اـنـشـاراتـ بـيدـارـ

كما تتحقق في العالم الوسيط متجردة عن المادة. و الميز بين الصورتين إنما يحصل بـَ الصور المترسلة في العالم الوسيط، لتدثر و لا تزول؛ ولكن الصور المقدارية المترسلة في العالم الاجسام، لتدثر و تزول بذيل حاملها.<sup>١١</sup>

على اي تقدير، الحكمة الاولى عند الفلسفه اهم اقسام الحكمه، و يعتقدون انها جذر يقتضي كل فرع من فروع الحكمه و شعبها؛ ولذلك سمّوها بالفلسفه الاولى (Primaphilosophia)، قال الشيخ في الهيات:

«قد كنتَ تسمع أنَّ هيهنا فلسفة بالحقيقة، و فلسفة أولى، إنها تُفيد تصحيح مبادئ سائر العلوم، و أنها هي الحكمة بالحقيقة»<sup>١٢</sup>

وعبر الشيخ ايضا عن الباحث الذي يفحص عن الفلسفه الاولى بالفيلسوف الاول.

فلهذا يجب ان نبسط القول حول الحكمة الاولى و موضوعها و مسائلها، ولكن قبل الخوض فيما نروم يجدر ان يذكر ان الحكمة الاولى لتفترق في كلّ قسم من الاقسام الاربعة للحكمة. فان الحكمة الاولى في الحكمه الاسمية لتمتاز عن الفلسفه الاولى امتيازاً ذاتياً، و المتكلمون ايضا يصرحون بان علم الكلام يفترق عن ما بعد الطبيعة، اي الفلسفه الاولى افتراقاً ما.

فالحرى هيهنا ان يبحث عن موضوع الحكمه الاولى و مسائلها في تلك الانحاء الاربعه .

<sup>١١</sup> الجوهر الحامل للصور المحسوسة المترسلة في الاجسام هو الجزء (Atom) و الذرة (Molekül) ولكن الجوهر الحامل لصور المقدارية المثالية ذرات من الطاقة الائتماعية تشبه الفوتون و ياتي تفصيل كل ذلك في البحث عن الجواهر والاعراض في المجلد الثاني من هذه الرسالة ان شاء الله

<sup>١٢</sup> الهيات الشفاء، تحقيق آية الله حسن زاده الاملي ص ١٢

## تحقيق موضوع الحكمة الاولى

### الف) في الفلسفة

المشائون والاشراقيون وكذا اصحاب الفلسفة الحديثة يصرّحون بان موضوع الفلسفة الاولى هو الموجود بما هو موجود؛ و اول من صرّح بهذا هو الارسطو، حيث جعل موضوع الحكمة الاولى في المقالة الرابعة من كتاب الحروف الموجود بما هو موجود (on hei on)، و تبعه اصحاب ما بعد الطبيعة قدیماً و حديثاً، حتى صرّح الهیدجر في مختتم تاريخ ما بعد الطبيعة ان الفلسفة الاولى ليس الا الانهك في الموجود و الغفلة عن حقيقة الوجود.

قبل الالام بالبحث يجب ان يعلم ماذا يرام من القول بان الفلسفة الاولى هي العلم الذي يبحث عن الموجود بما هو موجود؟

كل موجود يمكن ان يُبحث عنه بوجوه متعددة؛ فالانسان مثلاً ان نظر فيه من حيث انه ذو مقدار متكتم، يُعد موضعياً للعلم التعليمي؛ و ان نظر فيه من حيث انه ذو جسم تعرض عليه الحركة او السكون، يكون موضعياً للميكانيكا؛ و ان لحظ من حيث انه محل لتفاعل بين المادة و القوة، فموضع للفيزياء؛ و من حيث انه ذو جسم يتفاعل جسمه مع اجسام اخرى، فيصير موضعياً للكيمياء؛ و من حيث ان هذا الانسان موجود حّى نام حساس متحرك بالارادة؛ فيجعل موضعياً لعلم الحياة؛ و من حيث ان الانسان ذو نفس تصدر منها افعال مترقبة بعد افعالات معينة، فيُحسب موضعياً لمعرفة النفس؛ و من حيث ان هذه الموجود يتفاعل مع اناس اخرى بالصلح او الخصومة و يتقوم المجتمع من هذه التفاعلات، فيُعد موضعياً لعلم الاجتماع؛ واما هذا الانسان من حيث انه موجود من دون ان يلتحقه قيد اخر، فموضع للحكمة الاولى<sup>١٣</sup>.

<sup>١٣</sup> - التمثيل بالانسان في بيان موضوع الحكمة الاولى، لقد اخذته من عيون الحكمة لابن سينا واخذ الصدرا ايضاً هذا التمثيل في مبتدء الاسفار (ج ١ ص ٢٢) ولكن الصدرا رحمة الله لم يصرح بالأخذ

فللموجود من حيث انه موجود، احكام خاصة تختص به، كالوجوب و الامكان و الوحدة و الكثرة و العلية و المعلولية و الحدوث و القدم و العالمية و المعلومية .... فكل هذه الامور يبحث في الحكمة الاولى؛ اذ لا يحتاج الموجود في ان يتصرف بهذه الاوصاف ان يلتحقه قيد اخر؛ بل يقبل كل تلك الاوصاف باطلاقه؛ لانه كل هذه الاوصاف عوارض ذاتية للموجود بما هو موجود، كما سنشير اليه في التحقيق حول مسائل الحكم الاولى.

اذا سمع الانسان ان ما بعد الطبيعة يبحث عن الموجود بما هو موجود، ليزعم ان هذه الشعبة من المعرفة هي علم يشمل نطاقه جميع الحقائق؛ اذ كل موجود من حيث انه موجود، يُبحث في هذه الشعبة من المعرفة. ولكن الامر مع كل الاسف ليس كذلك؛ لان المتأفiriقا تغفل عن حقيقة الوجود كل الغفلة و تذهب عن الوجود الذي يصير جميع الموجودات بتجليه موجوداً كل الذهول؛ بل المتأفiriقا كما سيجيء في الفصل الخامس، ليست الا الذهول عن حقيقة الوجود (to ei nia) والانهماك في الموجود (to on).

لقد صرّح الاسطرو في المقالة الرابعة من الكتاب الحروف ان موضوع ما بعد الطبيعة ليس الا الموجود بما هو موجود (to on hei on) و مسائله كلها هي العوارض الذاتية للموجود بما هو موجود (ta huparkhonta kath hauto) ؛ و اتبع الاسطرو كل الفلسفه و المتكلمين في مغارب الارض و مشارقها.

فاعلم ان ارسطاطاليس لم يتفوه عن الوجود شيئاً و لم يبحث عن احكامه؛ بل لم يسأل عن الوجود انه ما هو؟

و اكتفى كاستاده افلاطون بأن يقول الوجود بدبيهي لا يحتاج الباحث أن يسأل عن حقيقته، وجرت العادة في نطاق ما بعد الطبيعة ان يقنعوا بأن الوجود بدبيهي و لم يسألوا عن حقيقته .

و اما اصحاب ما بعد الطبيعة في الشرق ايضاً اقتدوا خطوات الاغريقيين و جعلوا موضوع الحكم الاولى الموجود بما هو موجود، و ارتضوا بان الوجود بدبيهي، و لم يسألوا عن حقيقته و احكامه، كالfilosophie الاغريقيين .

### صرح الشيخ في الهيات الشفاء :

«فالموضوع الأول لهذا العلم، هو الموجود بما هو موجود و مطالبه الأمور التي تلتحقه بما هو موجود من غير شرط<sup>١٤</sup>.»

لم يتغافل الشيخ في مسفلاته كالشفاء و الاشارات و النجاة الا في الاحكام الموجودة بما هو موجود، و لم يتعرض بحقيقة الوجود و احكامه، و هكذا دار الامر و استمر في الفلسفة الاولى، حتى بلغ الامر الى دعوى اعتبارية الوجود و انتفائها عن الخارج. و ما زال رحى البحث يدور على ذلك، حتى انتهى الامر الى الشيخ الراحل المحبي لطريقة الحكماء الانسيين، و جعل الوجود في ركيزة التفكير، و انماط كل قضية حكمية به. و لقد كان الوجود قبل محبي الدين ايضا زهرة شجرة الحكمة الانسية، ولكن ما زالت هذه الزهرة محبوبة في الاعمال، و ازدهرت في حديقة الفصوص و افتتحت في ربيع الفتوحات، و سخر عرفاها اقطار الاقاليم التي خضعت للإسلام. ثم اقتفي اثره كثير من الكمال، كصدر الملة والدين في مفتاح الغيب و الفصوص و النفحات الالهية؛ و كرسالة منتهى المدارك التي فيها الحكيم الانسي سعد الدين الفرغاني، و يضاف إليها الشروح التي تكفلت الازالة عن غواص الفصوص، كشرح مؤيد الدين الجندي و شرح الكاشاني، و لا سيما شرح القيصري، الذي زين بتصدير بيحث فيها كثير من احكام الوجود. و قد افرد صدر الدين التركية رسالة في التحقيق حول الوجود، و سماها بقواعد الوجود؛ و شرحها حفيده صائن الدين و عنونه بتمهيد القواعد، و هو شرح بعيد الغور من اعظم مسفورات بحث فيها عن عویصه الوجود و الموجود. و افرد ايضا السيد السند الحيدر الآملي رسالة سماها بنقد النقود في معرفة الوجود، كما صنف ايضا كثير من المسفورات لا يسع المقام ذكرها.

و الفلاسفة لما رأوا هذه المباحث اعجبوها و أخذوا كثيرا منها، لا سيما اصحاب المنهج الذي يسمى بالحكمة المتعالية؛ ولكن ان امعنت النظر فيما انتحلوها من

<sup>١٤</sup> - الهيات من كتاب الشفاء، بتحقيق آية الله حسن زاده الآملي، ص ٢٢

اقوال الحكماء الانسيين، لرأيت انّهم قد خلطوا بين الوجود و الموجود و صارت مباحثتهم مصبوغةً بصبغة ما بعد الطبيعي .

اذ الوجود عند الحكماء الانسيين حقيقة واحدة تختص بالواجب تعالى. اما الممكناـت ليس لها فرد من افراد الوجود؛ بل الممكناـت لا تصير موجودة، الا ان يتجلـى وجود الحق في اعيانها الثابتـات.

اما اصحاب منهج الذى يُسمى بالحكمة المتعالية، فالوجود عندهم حقيقة مشكـكة افراد كثيرة؛ فيجعلـون لكل ممكـن من الممكـناـت وجوداً خاصـاً يختص به؛ ولا يختص الوجود عندهم بالواجب تعالى. و لذا كثر في اقوالهم التعبير بالوجودـات؛ و هذه الوجودـات عندـهم حقائق مشكـكة تتمـايز بالشدة والضعف. فـان وجود الواجب اشد و اقوى من وجودـات الممكـناـت، و في الممكـناـت ايضاً وجودـات المفارقات اقوى من المـادـيات، و وجودـ العلة اقوى من وجودـ المعلـول؛ فـاشدـ الممكـناـت وجودـاً، العقل الاول و اضعفـها الهـيـولـى.

لكن الفلاسفة لم يتـفـطـنـوا بـأن افتـراض وجود خـاصـ لـكل مـوـجـود مـمـكـنـ، اـمـ مـتـنـاقـضـ فيـ نـفـسـهـ؛ لأنـ الـوـجـودـ عـيـنـ الـابـاءـ عـنـ الـعـدـمـ، وـ عـيـنـ رـفـضـ الـعـدـمـ عـنـ الـاعـيـانـ؛ فـلاـ يـمـكـنـ طـرـوـ الـعـدـمـ عـلـيـهـ وـ لـيـسـ مـسـبـوقـاـ بـالـعـدـمـ؛ فـحـصـلـ فـيـ الـاعـيـانـ اـزـلـ الـاـزاـلـ وـ لـاـ يـزـوـلـ عـنـ الـاعـيـانـ اـبـداـاـبـاـدـ.

«لاـ اللهـ الاـ هوـ كلـ شـئـ هـالـكـ الاـ وـجهـهـ»<sup>١٥</sup>

معـ انـ كـلـ مـمـكـنـ مـسـبـوقـ بـالـعـدـمـ ذـاـتاـ وـ يـزـوـلـ اـيـضاـ عـنـ الـاعـيـانـ.

فـاطـلاقـ الـوـجـودـ عـلـىـ الـمـمـكـنـ لاـ يـصـحـ الاـ بـضـرـبـ مـنـ الـمـجاـزـ؛ لأنـ مـاـ يـسـبـقـهـ الـعـدـمـ وـ يـعـرـضـ عـلـيـهـ الـعـدـمـ، لاـ يـصـحـ انـ يـكـوـنـ مـنـ سـنـخـ الـوـجـودـ.

لاـ يـقـالـ انـماـ المرـادـ عـنـ الـوـجـودـاتـ الـمـمـكـنـةـ لـيـسـ الاـ الـوـجـودـاتـ التـىـ هـىـ انـقـصـ وـافـقـ منـ الـوـجـودـ الـوـاجـبـ، وـ الـامـكـانـ هـيـهـنـاـ بـمـعـنـىـ النـقـصـ فـيـ قـبـالـ الـكـمالـ، وـالـفـقـرـ فـيـ قـبـالـ الـغـنـىـ، لاـ بـمـعـنـىـ اـسـتـوـاءـ النـسـبـهـ بـالـوـجـودـ وـ الـعـدـمـ. لـاـنـهـ يـقـالـ هـذـاـ

الوجود الممكن الذى ادعىتم ان المراد من امكانه هو الفقر و النقصان فى حذاء الكمال المطلق، لا شك فى انه مسيوب بالعدم ذاتاً، فلن تمنعوا انتم افسكم سبق العدم عليه، و لن تدعوا امتناع طرو العدم عليه ايضاً؛ فذلك الوجود الممكن الذى يسبقه العدم و يعرض العدم عليه و يزول عن الاعيان، ان انصفتم فليس من سخ الوجود؛ اذ الوجود هو الذى يطرد العدم بالذات و ما كان الوجود مسيوباً بالعدم و لن يكون معروضاً له؛ فلا يصح اطلاق الوجود على الممكن الا مجازاً.

اما الموجود بما هو موجود، لا يمتنع سبق العدم عليه، كما لا يمتنع عروض العدم به؛ اذ كل موجود ماعدا نفس الوجود، اى وجود الواجب، يسبق عليه العدم و يعرض العدم ايضاً عليه.

فثبتت ان الوجودات الممكنات التى تبحث عنها فى ما بعد الطبيعة ليست نفس الوجود، و علماً ان ما بعد الطبيعة بكل انجائها تذهل عن الوجود و تنهك فى الموجود.

فبالحرى هيئنا ان نبحث عن موضوع الحكمة الاولى فى ساحة الحكمة الانسية؛ ولكن قبل الالام بالبحث، فيجدر ان نشير الى موضوع الحكمة الاولى فى نطاق علم الكلام.

### ب) في الكلام

فالا ظهر ان موضوع الكلام هو الموجود بما هو موجود من حيث انه يقع في طريق الاحتجاج على الاصول الاعتقادية و اثباتها، من التوحيد و المعاد و النبوة و بالجملة الاصول التي يجب الاعتقاد بها.

قال الفياض في الشوارق:

«فاعلم ان المتقدمين من علماء الكلام جعلوا موضوع الكلام الموجود بما هو موجود لرجوع مباحثه اليه، قالوا ان المتكلم ينظر في اعم الاشياء و هو الموجود، فيقسمه الى قديم و محدث و الى جوهر و عرض»<sup>١٦</sup>

وقال في موضع آخر من الشوارق:

«ثم لما كان تمايز العلوم بتمايز الموضوعات، قيدوا الموجود هيئنا بحيثية كونه متعلقاً للمباحث الجارية على قانون الاسلام؛ اي الطريق المعهودة المسماة بالدين و الملة و القواعد المعلومة قطعاً من الكتاب و السنة؛ مثل كون الواحد كو جداً للكثرة و كون الملك نازلاً من السماء و كون العالم مسبقاً بالعدم، و فانياً بعد الوجود، الى غير ذلك من القواعد التي يقطع بها في الاسلام دون الفلسفة»<sup>١٧</sup>

### ج) في حكمـةـالـانـسـيـة

لما تبيّن موضوع الحكمـةـالـاـولـىـ عندـالـمـشـائـينـ وـالـاـشـرـاقـيـينـ وـالـمـتـكـلـمـينـ، فـيـنـبـغـىـ انـيـبـيـنـ مـوـضـعـ الحـكـمـةـاـلـوـلـىـ فـيـ سـاحـةـ الحـكـمـةـاـلـانـسـيـةـ؛ـ وـ اـمـاـ قـبـلـ الخـوـضـ فـيـ تـحـصـيلـ مـوـضـعـ هـذـهـ الحـكـمـةـ،ـ يـجـبـ انـ نـمـهـ مـقـدـمةـ وـ هـىـ انـ الـوـجـودـ بـمـاـ هـوـهـ عـنـدـ الـحـكـمـاءـاـلـانـسـيـينـ،ـ اـعـنـىـ الـوـجـودـ فـيـ مـرـتـبـتـهـ الـلـاـ بـشـرـطـ المـقـسـمـ؛ـ اـمـاـ نـفـسـ هـوـيـةـ الغـيـبـ،ـ اـمـاـ اـخـصـ خـوـاصـ تـلـكـ الـهـوـيـةـ؛ـ ايـ الـذـاتـ

<sup>١٦</sup> - شوارق الالهام في شرح تجزيد الكلام، مكتبة الفارابي طهران، ص 11

<sup>١٧</sup> - نفس المأخذ المشار اليه، ص 11

الواجبة و اظهر ظهوراتها و اقدمها و اكملاها. فلذلك البحث عن كنه الوجود هو عين البحث عن ذات الحق، او البحث عن اظهر ظهوراته و اكمل تلك الظهورات و اقدمها.

و لذلك جعلوا موضوع الحكمـة الاولى تارة وجود الحق سبحانه من حيث تجلـيه في الأعيان، و تارة جعلـوا موضوع هذه الحكمـة الوجود المطلق. و المثال واحد؛ لأن الوجود بما هو هو، عند الحكمـاء الانسـيين يختص بالحق تعالى، و المـوجودـات المـمـكـنة أـنـما تـتـصـفـ بالـمـوجـودـيـةـ اذاـ تـجـلـىـ وجودـ الحقـ فيـ اـعـيـانـهاـ الشـابـاتـ. فالـوـجـودـ المـطـلـقـ وـ وـجـودـ الحقـ عـنـدـ هـمـاـ تـعـبـيرـانـ يـعـبـرـانـ حـقـيـقـةـ وـاحـدـةـ.

عـبارـاتـناـ شـتـىـ وـ حـسـنـكـ وـاحـدـ وـ كـلـ إـلـىـ ذـاكـ الجـمـالـ يـشـيرـ

الـيـكـ بـطـرفـ مـنـ اـقوـالـهـمـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ؛ـ قـالـ القـوـنـوـيـ فـيـ مـفـتـاحـ الغـيـبـ:ـ  
«ـفـمـوـضـوعـهـ الـخـصـيـصـ بـهـ وـجـودـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ»<sup>١٨</sup>.

ولـكـ الذـاتـ بـمـاـ هـيـ هـيـ،ـ تـعـالـتـ مـنـ انـ تـكـونـ كـالـمـوـضـوعـ لـلـحـكـمـةـ الـأـولـىـ،ـ وـ لـوـ فـيـ سـاحـةـ الـحـكـمـةـ الـأـنـسـيـةـ؛ـ بـلـ الذـاتـ مـنـ حـيـثـ انـهاـ تـجـلـتـ فـيـ الـأـعـيـانـ،ـ صـارـتـ ذـرـوـةـ حـامـتـ عـنـقـاءـ الـحـكـمـةـ حـولـهاـ.

قال الفناري في الشرح اى مصباح الانس:

«ـالـعـلـمـ الـالـهـيـ الـشـرـعـيـ الـمـسـمـيـ الـحـقـائقـ،ـ هوـ الـعـلـمـ بـالـهـ الحقـ تـعـالـىـ،ـ مـنـ حـيـثـ اـرـتـيـاطـهـ بـالـخـلـقـ وـ اـنـشـاءـ الـعـالـمـ مـنـهـ بـحـسـبـ الطـاقـةـ الـبـشـرـيـةـ؛ـ اـذـ مـنـهـ مـاـ يـعـذرـ مـعـرـفـتـهـ كـمـاـ فـيـماـ فـيـهـ جـيـرـةـ الـكـمـلـ.ـ فـمـوـضـوعـهـ لـخـصـيـصـ بـهـ وـجـودـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ مـنـ حـيـثـ الـاـرـتـيـاطـينـ –ـ لـاـ مـنـ حـيـثـ هوـ –ـ لـاـنـهـ مـنـ تـلـكـ الـحـيـثـيـةـ غـنـيـ عـنـ الـعـالـمـيـنـ،ـ لـاـ تـتـاـولـهـ اـشـارـةـ عـقـلـيـةـ اوـ وـهـمـيـةـ،ـ فـلـاـ عـبـارـةـ عـنـهـ؛ـ فـكـيـفـ يـبـحـثـ عـنـهـ،ـ اوـ عـنـ اـحـوـالـهـ وـ كـذـاعـنـ كـلـ حـقـيـقـةـ مـنـ حـقـائـقـهـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ»<sup>١٩</sup>.

قال القيسرى ايضا في رسالة التوحيد و النبوة و الولاية:

«ـفـمـوـضـوعـ هـذـاـ الـعـلـمـ هـوـ الذـاتـ الـاـحـدـيـةـ وـ نـوـتهاـ الـاـزـلـيـةـ وـ صـفـاتـهاـ السـرـمـدـيـةـ»<sup>٢٠</sup>.

اما الـكـمـلـ منـ الحـكـمـاءـ الـأـنـسـيـنـ الـذـيـنـ قـالـوـ فـيـ مـسـفـوـرـاتـهـ انـ مـوـضـوعـ هـذـهـ الـحـكـمـةـ هـوـ الـوـجـودـ الـمـطـلـقـ،ـ فـلـاـ يـتـفـاـوـتـ قـوـلـهـمـ مـنـ الـذـيـنـ جـعـلـوـاـ وـجـودـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ كـالـمـوـضـوعـ لـلـحـكـمـةـ الـأـنـسـيـةـ؛ـ لـاـنـ

<sup>١٨</sup> - مفتاح الغـيـبـ،ـ نـشـرـ المـوـلـىـ،ـ طـهـرـانـ،ـ صـ ٦

<sup>١٩</sup> - مـصـبـاحـ الـأـنـسـ،ـ نـشـرـ المـوـلـىـ،ـ طـهـرـانـ،ـ صـ ٤٤

<sup>٢٠</sup> - رـسـائـلـ الـقـيـسـرـىـ،ـ تـحـقـيقـ السـيـدـ جـلـالـ الـآـشـتـيـانـىـ،ـ صـ ٦

الوجود المطلق عند الحكماء الانسبيين هو ذات الاحدية او اخص خواصها و اظهر ظهوراتها و اكمالها و اقدمها.

قال القيصرى فى شرح الفصوص:  
«فى الوجود و انه هو الحق».<sup>٢١</sup>

و قال فى الرسالة المسمة بالتوحيد و النبوة و الولاية:

«و ذلك الواجب هو عين حقيقة الوجود، اي كلية الطبيعى المعبر عنه بالوجود المطلق».<sup>٢٢</sup>

ولقد صرخ السيد السند فى نص النصوص بهذه الدقيقة بوجه اوفى:

«اعلم ان هذا الوجود الموسوم بالمطلق، هو الحق تعالى - جل جلاله - باتفاق المحققين من أهل الله تعالى. و ليس لغيره وجود أصلا. و هو الموجود في الخارج بذاته و حقيته. والدليل عليه ان الوجود المطلق باتفاق الخصم هو نقىض العدم المطلق. و العدم المطلق عبارة عن الشيء يمتنع وجوده ذهناً و خارجاً. فلو كان نقىضه كذلك، لم يكن نقىضاً، بل كان هو هو، أعني عدماً صرفاً و لا شيئاً مهماً. و هذا خلف، لأن الخصم قائل بأن النقىضين لا يجتمعان، فيجب أن يكون الوجود المطلق موجوداً في الذهن و الخارج، بعكس نقىضه، وهذا هو المطلوب».<sup>٢٣</sup>

و قد قال صائى الدين فى تمهيد القواعد بعد ان جعل موضوع الحكمة الاولى على اذواق السالكين الوجود المطلق، ما هذا نصه:

«و اذا عرفت هذا، فاعلم: ان التعبير عما يصلح لان يكون موضوعاً لهذا العلم من المعنى المحظوظ و المفهوم الشامل الذى لا يشدُّ منه شئ، و لا يقابل شئ، عسير (عسر- خ) جداً. فلو عبرَ عنه بلفظ الوجود المطلق او الحق، اتى ذلك تعبير عن الشيء باخصر او صافه الذى هو اعم المفهومات هيهنا، اذ لو وجد لفظ يكون ذا مفهوم محصل اشمل من ذلك، لكان اقرب اليه و اخصر به، و كان ذلك هو الصالح لان يعبر به عن موضوع العلم الالهي المطلق لا غير».<sup>٢٤</sup>

فقد لاح مما مر ان الموضوع للحكمة الاولى فى ساحة الحكمة الانسية، هو الموجود بما هو هو و ان عبر عنه بالتعبيرين؛ اي تارة يعبر عنه بوجود الحق سبحانه، و تارة يعبر عنه بالوجود المطلق، فمثلاً كلا التعبيرين واحد.

<sup>٢١</sup> - شرح الفصوص للقيصرى، طبع الحجرى، طهران، ص ٥

<sup>٢٢</sup> - رساله التوحيد و النبوة و الولاية، بتحقيق السيد الجلال الدين الاشتياى، ص ١٠

<sup>٢٣</sup> - السيد الحيدر الاملى - نص النصوص فى شرح فصوص الحكم، ص ٤٢٠

<sup>٢٤</sup> - تمهيد القواعد بتحقيق السيد الجلال الدين الاشتياى ص ١٨

## مسائل الحكم الاولى في انحائه الاربعة

بعد استيفاء البحث عن تحصيل موضوع الحكم الاولى في كل منهج من المناهج الحكمية و انحائتها الاربعة، فيجب لنا ان نحقق مسائل هذه الحكمة. كما ان موضوع الحكم الاولى في الساحة الحكمية الانسية يفترق عن موضوع الحكم الاولى في نطاق الفلسفة، لتميز ايضاً مسائل الحكمة الانسية عن المسائل التي يبحث عنها في ما بعد الطبيعة. اذا المسائل في كل علمٍ هي العوارض الذاتية التي تعرض لموضوع ذلك العلم.

و لما افترق موضوع الحكمة الانسية عن الموضوع الذي يبحث عنها ما بعد الطبيعة، فلامحاله يتنهى ذلك الافتراق في الموضوع الى الافتراق في المسائل. اذا العوارض الذاتية التي تعرض على كل موضوع من موضوعات العلوم تختص بها. و اما العوارض الذاتية على ما بُين في باب البرهان، هي العوارض التي لا يحتاج طريانه على موضوعها الى واسطة في العروض؛ و هذا المعنى من العرض الذاتي هو الذي يصطلاح عليه في باب البرهان دون باب الايسا غوجي، اذا يُراد من الذاتي في هذا الباب هو ما يتمقوم به الذات.

لما كان موضوع ما بعد الطبيعة الموجود بما هو موجود، فمسائله عوارض ذاتية تعرض للموجود بما هو موجود؛ و لا يجب ان تستغرق كل عرض من هذه العوارض جميع الموجودات؛ لأن كثيراً من العوارض التي لا تحتاج في عروضها على الموضوع الى واسطة، توجب بنفس هذا العرض تخصيصاً في الموضوع. فالا نحناء مثلما عرض ذاتي للخط، ولكن الانحناء لا يشمل على جميع انحاء الخطوط ولا يصدق على الخطوط المتsequمة و المنكسرة؛ بل نفس عروض الانحناء على الخط يوجب تخصيصاً في الخط، و يمتاز بعروض هذا العرض الذاتي بعض انحاء الخط عن الآخرين.

فعلى اى تقدير تنقسم مسائل ما بعد الطبيعة على ثلاثة اقسام:  
الاول، الامور العامة و هي العوارض الذاتية للموجود بما هو موجود؛ كالوحدة والكثرة والعلية والمعلولة والحدث والقدم.

الثاني، البحث عن موضوعات العلوم الجزئية، لأن موضوعات العلوم الجزئية من عوارض الموجود بما هو موجود؛ ف تكون تلك الموضوعات كالمسائل في الحكمة الأولى.

وقد حدثت في القرنين الأخيرين من الزمان طريقة أخرى في البحث عن موضوعات العلوم الجزئية، وهي أنهم افروا للبحث عن موضوعات تلك العلوم أبواباً مستقلة، فسموا كل واحد منها بفلسفة ذلك العلم؛ كالفلسفة الفيزياء وفلسفة التعليميات وفلسفة المنطق.

والثالث، الالهيات بمعنى الاخص، وهي البحث عن الواجب تعالى و المفارقات؛ و ربما عبروا عن هذا القسم بالبحث عن الاسباب القصوى لكل موجود معلول .

ثم اعلم ان الهيات بالمعنى الاخص، انما هي في الحقيقة علم يبحث عن الواجب تعالى و اسمائه وصفاته، و البحث عن عقول الافلاك - من المجموعات التي دسوّها الاغريقيون و سموها باسماء آلهة الشرك الاغريقي والرومانى (Paganismus) كالمركورى و المارس و الونوس و الساترن ... وقد عُلم اليوم انه ليست في السماء افلاك حتى تكون لها عقول و نفوس - و قد قصر الصدرا بحثه عن الالهيات بمعنى الاخص في الاسفار، بالواجب تعالى و اسمائه و صفاته، ولم يتكلم عن عقول الافلاك شيئاً.

و قد قال صائب الدين في تمهيد القواعد بعد ان جعل موضوع الحكم الاولى على اذواق السالكين الوجود المطلق، ما هذا نصه:

«و اذا عرفت هذا، فاعلم: ان التعبير عما يصلح لان يكون موضوعاً لهذا العلم من المعنى المحيط و المفهوم الشامل الذي لا يشُدُّ منه شئ، و لا يقابلة شئ، عسير (عسر - خ) جداً. فلو عبر عنده بلفظ الوجود المطلق او الحق، ائماً ذلك تعبير عن الشئ باخاص او صافه الذي هو اعم المفهومات هيئنا، اذ لو وجد لفظ يكون ذا مفهوم محصل اشمل من ذلك، لكان اقرب اليه و اخص به، و كان ذلك هو الصالح لان يعبر به عن موضوع العلم الالهي المطلق لا غير».<sup>٢٤</sup>

فقد لاح مما مر ان الموضوع للحكمة الاولى في ساحة الحكم الانسية، هو الموجود بما هو و ان يُعبر عنه بالتعبيرين؛ اي تارة يُعبر عنه بوجود الحق سبحانه، و تارة يُعبر عنه بالوجود المطلق، فمثال كلا التعبيرين واحد.

---

<sup>٢٤</sup> - تمهيد القواعد بتحقيق السيد الجلال الآشتینی ص ١٨

## مسائل الحكم الاولى في انيات الاربعة

بعد استيفاء البحث عن تحصيل موضوع الحكم الاولى في كل منهج من المنهاج الحكيمية و انيات الاربعة، فيجب لنا ان نحقق مسائل هذه الحكم. كما ان موضوع الحكم الاولى في الساحة الحكمة الانسية يفترق عن موضوع الحكم الاولى في نطاق الفلسفة، لتميز ايضاً مسائل الحكم الانسية عن المسائل التي يبحث عنها في ما بعد الطبيعة. اذا المسائل في كل علم هي العوارض الذاتية التي تعرض لموضوع ذلك العلم.

و لما افترق موضوع الحكم الانسية عن الموضوع الذي يبحث عنها ما بعد الطبيعة، فلامحالة ينتهي ذلك الافتراق في الموضوع الى الافتراق في المسائل. اذا العوارض الذاتية التي تعرض على كل موضوع من موضوعات العلوم تختص بها. و اما العوارض الذاتية على ما يُبَيَّن في باب البرهان، هي العوارض التي لا يحتاج طريانه على موضوعها الى واسطة في العروض؛ و هذا المعنى من العرض الذاتي هو الذي يصطلاح عليه في باب البرهان دون باب الايساغوجي، اذا يُراد من الذاتي في هذا الباب هو ما ينتقام به الذات.

لما كان موضوع ما بعد الطبيعة الموجود بما هو موجود، فمسائله عوارض ذاتية تعرض للموجود بما هو موجود؛ و لا يجب ان تستغرق كل عرض من هذه العوارض جميع الموجودات؛ لأن كثيراً من العوارض التي لا تحتاج في عروضها على الموضوع الى واسطة، توجب بنفس هذا العرض تخصيصاً في الموضوع. فالآناء مثل عرض ذاتي للخط، ولكن الاناء لا يشمل على جميع انياء الخطوط ولا يصدق على الخطوط المتتسقية و المنكسرة؛ بل نفس عروض الاناء على الخط يوجب تخصيصاً في الخط، و يمتاز بعروض هذا العرض الذاتي بعض انياء الخط عن الآخرين.

فعلى اي تقدير تقسم مسائل ما بعد الطبيعة على ثلاثة اقسام:  
الاول، الامور العامة و هي العوارض الذاتية للموجود بما هو موجود؛ كالوحدة والكثرة والعلية والمعلولة والحدوث والقدم.

الثاني، البحث عن موضوعات العلوم الجزئية، لأن موضوعات العلوم الجزئية من عوارض الموجود بما هو موجود؛ ف تكون تلك الموضوعات كالمسائل في الحكمة الأولى:

وقد حدثت في القرنين الأخيرين من الزمان طريقة أخرى في البحث عن موضوعات العلوم الجزئية، وهي أنهم افرودوا للبحث عن موضوعات تلك العلوم أبواباً مستقلة، فسموا كل واحد منها بفلسفة ذلك العلم؛ كالفلسفة الفيزياء وفلسفة التعليميات وفلسفة المنطق.

والثالث، الالهيات بمعنى الاخت، و هي البحث عن الواجب تعالى و المفارقات؛ و ربما عبروا عن هذا القسم بالبحث عن الاسباب القصوى لكل موجود معلوم .

نعلم ان الالهيات بمعنى الاخت، انما هي في الحقيقة علم يبحث عن الواجب تعالى و اسمائه وصفاته، و البحث عن عقول الافلاك - من المجموعات التي سوها الاغريقيون و سموها باسماء آلهة الشرك الاغريقي والرومانى (Paganism) كالمركورى و المارس و الونوس و الساترن ... و قد علم اليوم انه بست في السماء افلاك حتى تكون لها عقول و نفوس - و قد قصر الصدرا عنه عن الالهيات بمعنى الاخت في الاسفار، بالواجب تعالى و اسمائه و صفاتيه، و لم يتكلم عن عقول الافلاك شيئاً.